

## الفصل العاشر

□ الاجازة والتخاطر □  
وتتمية الابتكارية

---



تهدف الاجازة الشعرية إلى اختبار الابتكارية بما تنطوى عليه من طلاقة تعبيرية وحساسية فى استشعار المشكلات التركيبية وتقويمها وذلك بالانتاج الفعلى والخبرة العملية المباشرة. وأساس هذه الطريقة هو التخاطر sumectics حول فكرة منظومة تنطوى على مشكلة تقتضى حلا يتداوله اثنان أو أكثر بطريقة القصف الذهنى. إنها بالأحرى اختبار تجريبى يعتمد على سؤال ضمنى يتحسس به المستجيز ابتكارية المجيز ومدى قدرته على التفكير والتعبير فى سرعة ودقة وفهم، وفى هذا تلتقى الاجازة واللغز، فكلاهما يتضمن سؤالاً ليس بالضرورة أن يكون منظوماً فى اللغز، وهذا يجعل الاجازة أشد وطأ وأقوم قبلاً، لأنه من السهل على الانسان أن يفكر ابتداءً وأن ينظم بنات فكره، أما أن يكمل ارتجالاً فكرة غيره، فذلك يرهقه صعوداً، ويقتضيه طلاقة تعبيرية لا يلقاها إلا بمجاراة الأول فى رؤيته وأدواته، وطاقته الانفعالية، وفى سياق من المماتنة والتحدى.

### اجازة التمليط

وللأجازة عدة أشكال، فقد تكون لغزية فتسمى تمليطاً، وقد تكون إعجازية فتسمى ممامنة، وتزيد على الاجازة العادية فى عدد الأشطر إذ على المماتن أن يسترسل، وعلى الآخر أن يتابعه شطراً شطراً بحيث يصير البيت الواحد دولة بينهما وتكون السرعة فى أدائه هى محك الفضل والمزية وإليها يرجع الأمر كله، وممن أشتهر بهذا امرؤ القيس «وكان معنى عريضاً ينازع كل من قبل إنه شاعر فنازع التوام اليشكرى واسمه الحيرث «ويكنى أبا شريح، فقال له: إن كنت شاعراً فملط أنصاف ما أقول وأجزها، فقال: نعم<sup>(١)</sup> ودارت بينهما إجازة حول بيت ظلا يتقاسمانه على النحو التالى:

(١) بدائع البداهة، نفسه، ص ٩٣.

امرؤ القيس: أصاح أريك برقا هب وهنا  
التوأم: كئار مجوس تستمر استمارا  
امرؤ القيس: أرت لها ونام أبو شريح  
التوأم: إذا ما قلت قد هدا استطارا  
امرؤ القيس: كأن هزيره بوزاء غيب  
التوأم: عشار وله لاقت عشارا  
امرؤ القيس: فلما أن رأى كنفى أضاح  
التوأم: وهت أعجاز ريقه فجارا  
امرؤ القيس: فلم يترك بذات السر ظيبا  
التوأم: ولم يترك بجلهتها إحارا

### إجازة المماتنة

ومن طرائف المنازعات أن «غلاما من بنى جنب يقال له رفاعة أو المحترش، نبغ في الشعر وماتن شعراء قومه حتى ظهر عليهم، فلما وثق من نفسه بذلك خرج إلى القبائل، فنزل بصرم من بنى نهد والحى خلوف، فأتى حجرة عن جنب الخباء، فإذا عجوز حيزبون قد أقبلت معتمة تتوكأ على لحمين، فقالت: عم ظلما، قال: فقلت عم ظلماك وأكرمتنى. فلما أصبحنا وقد أخبرتها بما أتيت فى طلبه أقلت ومعه ثلاث فتيات كالمهراث، فابتدرن إلى الحجرة، وحيثنى العجوز، وسألتنى عن مبيتى، ثم أومات إلى أحدهن، فأقبلت كالعيدانة بملها الصبا، فقالت: أنت المتحدى بالمماتنة؟ فقلت نعم. فقالت: قل». ودارت بينهما هذه الإجازة بيتا بيتا على النحو التالى:

الغلام: سوام تداعت سومها وعجافها  
الفتاة: حوامل أئقال تنوء فتزرع  
الغلام: إذا ما أبهت فى حجرتيها رعاؤها  
الفتاة: سمت فرقة منه شوامر نفع

الغلام: نواء تدانى بالجيين عشارها  
الفتة: فترح ناراً أو تبيت فتسبح  
الغلام: إذا وصلت أرضاً سقته بدرها  
الفتاة: أفويق رسل محصة لا تفتح  
الغلام: إذا أصفحت أخلافها خلت ماجرى  
الفتاة: على الأرض منه لجة تتوضح

قال: فقلت إلى راحتي، فقالت العجوز: رويت أم أحلب لك أخرى؟ فقلت  
أروتني الأولى، فخرجت أريد الرجوع إلى قومي، فأبى بي اللجاج إلى قصد ما  
خرجت إليه، فدفعت إلى شيخ يرعى غنيمات له، فاستقرته، فقام مبادراً إلى قصب  
له، فاحتلب لي فشربت، ثم قال: ما رمى بك في هذا القطر؟ فاخبرته، وكتمت ما  
لاقيت، فكشر وصاح بغلمة يرعون قريباً منه، فأقبل غلام منهم فقال: ادع عشرة.  
فما لبث أن أقبلت حورية عجفاء كأنها بغلة خيسفوج حتى وقفت بين يديه، فقال:  
إن ابن عمك هذا خرج من بلاده يتحدى بالماتنة: فقالت: فهل عندك شيء؟  
فقلت: قل أيها المتحدى وإنها لتقلب عينها كعيني الأرقم:

فقلت: فما يسرة زرقاء في ظل صخرة

فقلت: زخيرة عزاء الذرا جونة النضد

فتركت ما قصدت له، وقلت إلى جهة أخرى، ووصفت ناقتي فقلت:

فقلت: إذا نشج الحرباء في رأس عوده

فقلت: وألجام أم الحسل في مائها الصخد

فقلت: أثار توننا بين نحت حجابها

فقلت: هوانك أشباه كرابيه الجلد

قال: فرحت وآليت ألا أمانن أحدا ما عشت<sup>(١)</sup>.

(١) نفسه، ٩٣-٩٥.

ومن الملحوظ أن هذا النوع من الاجازة يقوم على التحدى والماتنة، ولا يقتصر على شطر أو شطرين، فبينما يسترسل المستجيز يجد المجيز نفسه مضطرا إلى التقيد بمضمون الفكرة التي فرضت عليه، والشكل الذى وضع لصياغتها، كما أن التخاطر هنا يتم بطريقة القصف ذهنى إذ مايلبث الماتن أن يرسل خاطرته، حتى ينهض الآخر لإكمالها، وهذا يقتضى الوعى وشدة اليقظة، والتفطن إلى فكرة المنازع، والرد بما يناسبها.

وإذا كانت الماتنة هنا دولة بين الغلماء والجوارى فدهى أن يكون المحكمين من العجزة أو الشيوخ بحكم السن والخبرة والنضج الفنى، كما يلاحظ أن الغلمان هنا ليسوا مجرد رعيان لإبل قومهم، ولكنهم طاقة أدبية أعدت جيدا لمجابهة هذه التحديات الحضارية التى تواجه قبيلتهم، فهذا غلام من بنى كذا، يتجاوز حدود قبيلته شاهرا لسانه وبيانه، متحديا أترابا له من قبيلة أخرى.

### الإجازة العائلية :

ثمة نوع آخر من الاجازة يقتصر على شطر أو شطرين، ويكون داخل الأسرة حيث يتوحد الابن بأبيه، ويتبنى سماته الشخصية والفنية، وهنا يكون «التوحد» وليس «التقمص» هو الأساس النفسى الذى يتخاطران حوله، حيث يقوم الأب باختبار المهارة التعبيرية لدى طفله، ومدى حساسيته فى استشعار المشكلات التركيبية وحلها فى سرعة ودقة وفهم، بينما يقوم الطفل بالتقاط فكرة أبيه وتبنيها والتكيف بها، ثم مجاراته فى الشكل الذى وضع لصياغتها. هذه الاجازة الاختبارية كانت أبرز طرائق التنشئة داخل البيوتات المتأدبة، حيث نجد زهير بن أبى سلمى يأخذ ابنه كعبا بهذه الطريقة منذ بدت عليه ارهاصات المهوبة وهو «غليم» يرعى إبل قومه. وحدث أن سمع الأب ابنه عشية وهو يرجز:

كأنا أحدو بيهى عيرا      من القرى موقرة شعيرا

فخرج وهو غضبان فأنشد:

وإنى لتعدبنى على الهم جسرة      نخب بوصول صروم وتعنق

ثم قال: أجز يالكع، ودارت بينهما هذه الاجازة:

كعب : كبنيانة القرئى موضع رحلها      وأثار نسعيها من الدفء أبلق  
زهير : على لاحب مثل المجرة خلته      إذا ما علا نشزا من الأرض مهرق  
كعب : منير هداه ليله كنهاره      جميع إذا يعلو الحزونة أمرق

وظل الأب يستجيز ابنه، وهو يجيزه حتى انتهاها، فأخذ بيده، وقال: قد أذنت لك فى الشعر<sup>(١)</sup>.

ويروى أن حسان بن ثابت أرق ذاق ليلة فقال:

متاريك أذئاب الأمور إذا اعترت      أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها

ثم أجبل - انقطع نفسه - فقالت ابنته: يا أبت ألا أجيز عنك؟ قال: وعندك ذاك؟ قالت: نعم. قال فافعلى فقالت:

مقاويل للمعروف خرس عن الخنا      كرام يعاطون العشييرة سولها

فحمى الأب وأجابها وأجابته فقال: لا قلت شعرا وأنت حية، قالت: وأؤمنك؟ قال وتفعلين؟ قالت: نعم لا قلت شعرا وأنت حى<sup>(٢)</sup>.

لنلاحظ أن الطفلة هنا تحاكي نمطا كليا لسلوك أبيها الشخصى والفنى وهذا واضح من المشاكلة اللفظية بين «متاريك ومقاويل» فى الصدر، و«أصولها وسولها» فى القافية، ثم تبنيتها خلق أبيها كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والترفع عن الدنيا، ونحو ذلك من القيم الشخصية والفنية، التى تربط الابناء بأبائهم فينسجون على منوالهم بطريقة التوحد والتخاطر والقصف الذهنى.

ودونك مثلا آخر من إجازة بين أب وابنه<sup>(٣)</sup>.

(١) الاصفهاني، الاغانى، ٦٣٥٩/١٨.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ٦/٢٣١ نقلا عن أحمد سيد أحمد، شاعر الرسول، دار للسلطنة ص ١٥.

(٣) ابن سعيد الأندلسى، المغرب فى حلى المغرب ١/٣٦٨.

الأب: تنق ضفادع الوادى  
ابنه: بصوت غير معتاد  
الأب: كأن ضجيج مقولها  
ابنه: بنو الملاح فى النادى  
الأب: وتصمت مثل: صمتهم  
ابنه: إذا اجتمعوا على زاد  
الأب: فلا غوث للمهوف  
ابنه: ولا غيث لمرتاد

فالتخاطر هنا قائم حول فكرة واحدة كان شطرها عند الأب وشطرها الآخر عند ابنه، وكلا الشطرين لا يلتئم أحدهما دون الآخر إذ يكون قسيمه وملازما له تلازم الفعل ومتعلقه، أو المشبه والمشبه به، أو التابع والمتبوع، أو التشبيه وقيدته الاحتراسى، ولهذا عقب الأب قائلا: «أحسنت والله ما منها قسيم إلا وقد أجزته بما وقع عليه خاطرى».

### إجازة المؤدبين:

وكما تكون الاجازة بين الأب وأبنائه تكون أيضا بين المؤدب وتلاميذه بهدف الكشف عن مواهبهم قبل اجازتهم وتخريجهم، ورد فى ترجمة أحد الأدباء: «كنت أنا وجماعة من أحداث بغداد ممن يتعاطى الأدب، نختلف إلى مدر، ك نتعلم منه الشعر، فقال لنا يوما إذا وضعتم الكلمة مع لفقها كنتم شعراء، ثم قال: أجزوا هذا البيت: «إلا إنما الدنيا متاع غرور» فأجازه كل واحد من الجماعة بشيء لم يرضه فقلت: «وإن عظمت فى أنفس وصدور» فقال: هذا هو الجيد الممتاز<sup>(١)</sup>.

وروى أيضا أن هذا المؤدب دفن قريبا له واستجاز بعض تلاميذه منشدا: «نروح ونغدو كل يوم وليلة» فقال أحدهم: «فحتى متى هذا الرواح مع الغدو»، فقال له لم تصنع شيئا فقال آخر: «فيالك مغدى مرة ورواحا»، فقال: لم تصنع شيئا. فقال آخر: «وعما قليل لا نروح ولا نغدو» فقال: الآن تم البيت<sup>(٢)</sup>.

(١) المسكرى، الصناعتين، ١٣٧.

(٢) نفسه.

وروى أيضا أن ابن سعيد الأندلسي صاحب كتاب المغرب اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير، ورغب أن يسلك مسلكه في الغزل فسأله أن يرشده إلى الطريق الغرامى فقال البهاء: طالع ديوان الحاجرى والتلعفرى، وأكثر المطالعة فيهما، وراجعنى بعد ذلك. فغاب عنه مدة وأكثر من مطالعته الديوانين إلى أن حفظ غالبهما، ثم اجتمع بعد ذلك، وتذاكر فى الغراميات، فأنشده البهاء فى غضون المحاضرة: «يابان وادى الأجرع»، وقال انتهى أن تكمل لى هذا المطلع، ففكر قليلا وقال: «سقيت غيث الأدمع» فقال: والله حسن، ولكن الأقرب إلى الطريق الغرامى أن تقول: هل ملت من طرب معى<sup>(١)</sup>.

### الأجازة الأميرية:

وثمة نوع آخر من الاجازات يجريه الامراء أنفسهم بهدف التسلية واختبار الموهبة البيانية لدى من يتأهلون لبلاطهم ويتشرفون بصحبتهم ومجالستهم ويكون التخاطب بينهم حول مشير يبعث الأمير على القول ويطلب من أحدهم أن يجيزه ومن طرائف ذلك أن المعتمد بن عباد أرسل إلى ابن حمديس، وأجلسه مجلسا وثيرا وقال له: افتح الطاق التى تليك، ففتحها فإذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه، وواقده يفتحهما تارة، ويسدهما تارة أخرى، ثم رام سد أحدهما، وفتح الآخر، ثم تركه يتأملهما مدة ثم دارت بينهما الاجازة التالية:

المعتمد: انظرهما فى الظلام قد نجما  
ابن حمد يس: كما رنا فى الدجنة الأسد  
المعتمد: يفتح عينيه ثم يطبقها  
ابن حمديس: فعل امرى فى جفونه رمد  
المعتمد: فابتذه الدهر نور واحدة  
ابن حمديس: وهل نجما من صروفه أحد

(١) المقرئ، نفع الطيب، ١٤٢/٥.

فاستحسن المعتمد ذلك، وأمر له بجائزة سنوية وألزمه خدمته<sup>(١)</sup>.

وورد أيضا أن المعتمد ركب في حشد من الشعراء، وسابق فجاء فرسه سابقا بين البساتين، فرأى شجرة تين قد أينعت فيها ثمرة، فسدد إليها عصا فأصابها، وتثبت في أعلاها، فأطربه ذلك فالتفت لابن جامع وقال مستجيزا إياه: «كأنها فوق العصا» فقال ابن جامع: «هامة زنجي عصا»، فزاد طرب المعتمد، وسروره بحسن ارتجاله، وأمر له بجائزة سنوية<sup>(٢)</sup>.

وورد أيضا أنه اصطحب جماعة من الشعراء في نزهة نهريّة، واستجازهم شطرا له فعجزوا، فأجازته على البديهة جارية فأعجب بها، فاشتراها وتزوجها، وتلك هي اعتماد الريمكية التي أنجبت لهذا الأمير ملوكا حكموا الأندلس<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه الاجازات ما دار بين أبي بكر بن القبطرنة وأبي العباس بن سارة وقد جلسا يستجليان جمال الطبيعة في يوم مطير<sup>(٤)</sup>:

|                                       |                          |
|---------------------------------------|--------------------------|
| ابن سارة: هذى الطبيعة كاعب أبرارها    | حلل الربيع وحليها النوار |
| ابن القبطرنة: وكان هذا الجو فيها عاشق | قد شفه التعذيب والاصرار  |
| ابن سارة: وإذا شكى في البرق قلب خافق  | وإذا بكى فدموعه الامطار  |
| ابن القبطرنة: من أجل ذلة ذا وعزة هذه  | بيكى الغمام ويضحك النوار |

وثمة نوع من الاجازات الاختبارية يجرى لذوى المهن كالصباغين والقصابين ونحوهم. كما حدث من ابن عمار مع ابن جامع الصباغ حين أراد أن يختبر سرعة خاطره، فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء، وأشار إليها وقال: «كم بين زند وزند» فقال الصباغ: «ما بين وصل وصد»<sup>(٤)</sup>، ويروى أن ابن عمار دخل على يحيى القصاب السرقسطى، ولحم الخرفان بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم وقال: «لحم سباط الخرفان مهزول» فقال القصاب يقول للمفلسين: مه زولوا<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه.

(٢) نفسه، ص ٩٥.

(٣) نفع الطيب ٤٢٨/١٤.

(٤) نفسه ١٤٢/٥-١٤٣.

(٥) نفسه.

## الإجازة التزييلية:

وثمة نوع من الإجازات يسمى «الإجازة التزييلية» حيث يبادر المختبر ببيت ويطلب من واحد أو أكثر أن يضيف إليه بمثله أو يزيد، كما صنع أبو محمد غانم عندما قال له عتيق المغنى المهدوى: «إنى أحفظ بيتا فلعلك تزيله وهو:

يا نائب الوجه عن شمس الضحى غسقا      والبدر لو كلفوه ذاك لم ينب

فأجازه بديهة:

فى غرة الملك العالى ومنظره      بدر يعطل نور السبعة الشهب  
ترى محياه فى ليل فيخبرنا      عن الحقيقة أن الشمس لم تغب<sup>(١)</sup>

وقد يكون التزيب بثلاثة أبيات كما حدث فى بيت ابن المعتز:

وهل يزبل البين محتال      إن غدت للبين أجمال

فقد زيله الشاعران المذكوران بثلاثة تقول:

إنما العالى أمام هدى      حليت عصره الحال  
ملك إقبال دولته      كذوى الأفهام إقبال  
قل لمن أكدت مطالبه      راحتاه الجاه والمال<sup>(٢)</sup>

وكما يقع التزيب على بيت فقد يقع أيضاً على شطر بيت ومن ذلك إجازة ابن شهيد شطرا ذكره له الخياط معرضا بلثغته ورمده وهو: «مرض الجفون ولثغة فى المنطق» وقد حاول الحاضرون أن يجيزوه فقال لهم ابن شهيد: لستم المقصودين وأخذ القلم وكتب بديهة يجيز الشطر المذكور:

.....  
من لى بالثغ لا يزال حديثه  
يبنى الكلام لسانه فكأنه  
لا ينعش الألفاظ من عثراتها  
سيان جرا عشق من لم يعشق  
يذكى على الاكباد جمرة محرق  
من خمر عينيه سقى  
ولو أنها كتبت له فى مهرق<sup>(٣)</sup>

(١) ابن بسام، الزخيرة فى محاسن الجزيرة، مجلد ٢، ص ٣٥١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ١ مجلد ١، ص ٢٦١.

وكما يكون التزييل خارجيا يدور بين شاعر وآخر فقد يكون أيضا داخليا يصدر من شاعر على أبيات له، . كما حدث من أحدهم في مجلس أنس عندما غنى له هذا الشعر:

|                      |                  |
|----------------------|------------------|
| بدا فكأنه قمر        | على أزراره طلعا  |
| يفت المسك عن نبق الـ | جبين بنانه ولعا  |
| وقد خلعت عليه الرا   | ح من أنوابه خلعا |

فرغب إليه بعض الحاضرين تزييلها فقال:

|                 |                                |
|-----------------|--------------------------------|
| فأهدى من حماسه  | إلى أبصارنا بدعا               |
| فلما فت أكبدنا  | وحاز قلوبنا رجعا               |
| ففاضت أعين أسفا | وفاضت أنفس جزعا <sup>(١)</sup> |



---

(١) فلاند العقيان، ص ١٢٥ والشاعر هو أبو بكر أحمد بن رحيم.